المكتبة الخضراء للأطفال

٤٢

عفاريت نصف الليل

تأليف : يعقوب الشاروني

قصص عربية

Arabic Stories

DVD4ARAB

"فى ليلةٍ مُظلِمةٍ من ليالى الشتاءِ الماضى . وبجوار منطقةِ المقابرِ، فى الطريقِ القادمِ من قريةِ "الشيخ فضل"، كانَ "عم صابر" النجارُ يسحبُ خلفَهُ حمارَهُ ، وقد ربطَهُ بحبلٍ أمسكَهُ بيدِهِ ، بعدَ أن وضعَ فوقَ ظهرِهِ حِمْلاً ثقيلاً من الخشبِ . وفجأةً سمعَ صوتَ شىءٍ صدمَ الحمارَ بعنفٍ ، مع صوتِ عظامٍ تتكسَّرُ.."

فى تلك اللحظةِ ، انطلقَ خفاشٌ أسودُ ، من بينِ فروعِ شجرةِ جميزٍ عتيقةٍ ، وطارَ فوقَ حلقةٍ من صبيانِ قريةِ شارونة ، وهم يجلسونَ فى ضوءِ القمرِ يستمعونَ إلى مسعود ، أكبرِ الأولادِ فى السنِّ والجسمِ ، يحكى لهم ما يتردَّدُ فى القريةِ من حكاياتٍ ، حولَ حوادثَ غريبةٍ تحدثُ ليلاً ، فى الطريقِ الذى يصلُ ما بينَ قريةِ شارونة وقريةِ الشيخِ فضل المجاورةِ لها.

وارتعشَ أصغرُ الأولادِ ، وانكمشَ داخلَ جلبابِهِ ، وهو يُصغِى إلى مسعود يُكمِلُ حكايتَهُ قائلاً: "وانفلتَ الحبلُ من يدِ عمِّ صابر النجار ، فالتفتَ خلفَهُ بسرعةٍ ، ليجدَ الحمارَ قد سقطَ مع حِملِهِ على الأرضِ ، مثلَ قطعةِ حجرٍ ثقيلةٍ..

DVD4ARAB

ونهقَ الحمارُ فـى ألمٍ شديدٍ ، كأنه ابنُ آدمَ يصرخُ ويستغيثُ .. وتتابَعَ أنينُهُ ونهيقُهُ .. وتلفَّتَ عم صابر حولَهُ ، فلم يرَ فى الظلامِ أحدًا أو شيئًا .. فمَنِ الذى ضربَ الحمارَ وأوقعَهُ بكلِّ هذه القسوةِ ؟!"

وبصوتٍ خافتٍ ، كأنه يُجيبُ عن تساؤلِ مسعود ، همسَ أحدُ الأولادِ قائلاً: "العفاريت!!"

لكنَّ "مسعود" لم يهتمَّ بتلك المُقاطَعةِ ، واستمرَّ فى حكايتِهِ قائلاً: "وصاحَ العمُّ صابر النجارُ "بسم الله الرحمن الرحيم .. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم" .. وعندما تأكَّدَ من ابتعادِ العفاريتِ ، انحنى ليرى ما الذى حدثَ لحمارِهِ ، فاكتشفَ أن ساقَ الحمار قد أصابَتْها ضربةٌ عنيفةٌ حطَّمَتْها .. ولم تعدْ للحمار فائدةٌ بعدَ تلك الليلةِ."

هنا ارتفعَ صوتُ حسين ، وهو فتًى لا يتجاوزُ عمرُهُ الثانيةَ عشرةَ، قائلاً: "والدى يقولُ: الذى يخافُ من العفريتِ ، يصوِّرُ له خوفُهُ عشرينَ عفريتًا!"

وكانَ الأولادُ يعرفونَ أن والدَ حسين ، كاتبَ الجمعيةِ الزراعيةِ ، قد درسَ عدةَ سنواتٍ بالأزهرِ الشريفِ فى القاهرةِ ، وأنه يضحكُ كلما سمعَ مثلَ هذه الحكاياتِ ، ويقولُ لابنِهِ: "إياكَ أن تصدِّقَ كلَّ هذهِ المُبالَغاتِ .. إنهم ناسٌ لا يستخدمون عقولَهم ، يُفزِعُهم أرنبٌ أو ثعلبٌ."

لكنَّ "مسعود" لم يرضَ عن عبارةِ حسين ، التى كادَتْ تُضيِّعُ تأثيرَ حكاياتِهِ على الأولادِ ، فاندفعَ يقولُ: "وهل تستطيعُ أن تُنكِرَ ظهورَ الشبحِ ، الذى كانَتْ قامتُهُ تقصرُ مرةً وتطولُ مرةً أخرى ، والذى اعترضَ طريقَ حارسِ ماكينةِ الرىِّ وزوجتِهِ ، عندما تأخَّرا ذاتَ ليلةٍ فى العودةِ إلى شارونة ، بعدَ زيارةٍ قاما بها لأقاربِهما فى قريةِ الشيخِ فضل ؟! لقد طاردَهما الشبحُ وهما

DVD4ARAB

يجريانِ بكلِّ قوتِهما ، وكادَ يُلقِى بهما فى طينِ الحقولِ ، لولا ظهورُ أضواءِ الفجرِ التى تخافُ منها الأشباحُ."

وارتفعَ صوتُ صبىٍّ آخرَ يقولُ: "وكلُّنا نعرفُ حكايةَ العفريتِ الأبيضِ ، الذى مزَّقَ ملابسَ عتريس العبيطِ وهو عائدٌ من الحقولِ ليلاً ، بعدَ أن قامَ بالمساعدةِ فى رىِّ أحدِ الحقولِ بالشَّادوفِ. ومن يومِها فَقَدَ عتريس العبيطُ هدوءَهُ ، وصارَ يضحكُ ويبكى كالمجانينِ ، ويرفضُ أن يخرجَ للعملِ فى أىِّ حقلٍ ، ليلاً أو نهارًا !!"

DVD4ARAB

وحاولَ حسين ، ابنُ كاتبِ الجمعيةِ ، أن يقولَ شيئًا آخرَ ، يبدِّدُ به أثرَ تلك القصصِ التى تَبادَلَ أهلُ القريةِ روايتَها مراتٍ عديدةً ، حتى أصبحَ مُجرَّدُ التفكيرِ فى المرور بعدَ الغروبِ فى الطريقِ إلى قريةِ الشيخِ فضل ، خاصةً فى الجزءِ المجاور للمقابرِ ، نوعًا من الجنونِ ، لا يفكِّرُ فيه معظمُ أهلِ القريةِ لكن "مسعود" لم يسمحْ لحسين أن يقولَ شيئًا ، إذ أسرعَ يقومُ ومعَهُ بقيةُ الأولادِ وهو يصيحُ ، كأنما يُريدُ أن يبثَّ مزيدًا من الرعبِ فى نفوسِ مَنْ هم أصغرُ منه سنًّا: "هيا إلى بيوتِنا بغيرِ إبطاءٍ ، قبل أن يختفِيَ القمرُ، ونتخبَّطَ فى العتمةِ ، فالعفاريتُ لا تُحِبُّ إلا الظلامَ!"

* * *

وفى صباحِ اليومِ التالى ، كانَتْ نفسُ مجموعةِ الأولادِ ، تعبرُ الجسرَ المقامَ فوقَ الترعةِ المجاورةِ لمدرستِهم الابتدائيةِ ، وهم عائدون إلى القريةِ بعد انتهاءِ اليومِ الدراسىِّ. وفجأةً توقَّفَ مسعود ، وقالَ:

"هيا نذهبُ لقطفِ البرتقالِ!!"

وتَصايحَ الباقون فى صَخَبٍ وحماسٍ ، وقد فهموا معنى العبارةِ ، ثم استداروا ناحيةَ حدائقِ "المعلم توفيق".

لكن "حسين" ابنَ كاتبِ الجمعيةِ الزراعيةِ ، استمرَّ فى طريقِهِ، لا يهتمُّ بصخبِ الزملاءِ وصياحِهم ، فصاحَ به مسعود:

"إلى متى تظلُّ جبانًا هكذا يا حسين؟! تعالَ معنا ، ولا تخشَ شيئًا!"

وتوقَّفَ حسين ، واستدارَ غاضبًا ، وقالَ فى عنفٍ: "السرقةُ ليسَتْ شجاعةً!!"

DVD4ARAB

DVD4ARAB

لكن كلماتِهِ ضاعَتْ بين ضحكاتِ وسخريةِ الزملاءِ ، الذين صاحوا فى صخبٍ: "الشجاعُ مَنْ جمعَ أكثرَ ، وجرى أسرعَ .. تعالَ معنا!!"

لكنهم لم ينتظروا استجابتَهُ لهم ، فقد استقرَّ فى نفوسِهم أن "حسين" أجبنُ من أن يشاركَهم مغامراتِ سرقةِ حدائقِ الفاكهةِ!

أما حسين ، فواصلَ السيرَ إلى القريةِ وهو يمتلئُ غيظًا. كانَ يقولُ لنفسِه: "كيف يعتبرونَ السرقةَ شجاعةً ، وفى نفسِ الوقتِ يخافون من حكاياتِ العفاريتِ الوهميةِ ؟! كم أتمنَّى أن يأتِىَ اليومُ الذى أُثبتُ لهم فيه كيف تكونُ الشجاعةُ الحقيقيةُ!!"

DVD4ARAB

لكنهُ بالتأكيدِ لم يكنْ يعرفُ
متى سيأتى ذلك اليومُ!!

* * *

فى نهايةِ نفسِ ذلك اليومِ ،
ارتفعَ من بيتِ الحاجِّ سالم ،
صاحبِ ماكينةِ الرىِّ ، صراخٌ حادٌّ
مُرتفِعٌ: "سرقونا .. اللصوصُ
سرقونا.."

كان ذلك بعدَ غروبِ الشمسِ
بساعتَيْنِ، وقد غمرَ الظلامُ الكثيفُ
منازلَ القريةِ، لا تبدِّدُهُ إلا خيوطُ
نور ضئيلةٌ، تتسلَّلُ من أبوابِ
البيوتِ، وتتراقصُ مع تراقُصِ
شعلاتِ المسارجِ، ومصابيح "الجاز"
البترولية الخافتةِ الضوءِ، التى لم
تكن القُرَى تعرفُ غيرَها قبل أن
تُضىءَ الكهرباءُ قُرَى مصرَ.

وفى لحظاتٍ ، تجمَّعَ عددٌ
كبيرٌ من أهلِ القريةِ داخلَ وخارجَ
بيتِ الحاجِّ سالم صاحبِ ماكينةِ
الرىِّ ، يستطلعون الخبرَ.

صاحَتْ "تفيدة" زوجةُ

DVD4ARAB

الحـــاجّ: "الأســـاورُ الذهبيـــةُ .. الخلخالُ الفضىُّ... الأقـراطُ.. كلُّ الحُلِىِّ الذهبيـــةِ التـــى نملكُـــها.. سرقوها!!"

وأخـــذَتْ تفيـــدة تصـــرخُ وتبكى، وتقولُ لِمَنْ تَجمَّعوا حولها: "لقد غادرْتُ البيـتَ لزيارةِ جارتى بمناسبةِ عودتِها من الحجِّ، بعد أن أغلقْتُ بابَ دولابِ الملابسِ وبـابَ الدار الخـارجىّ. وعندمـا عـدْتُ ، وجدْتُ البابَ الخارجِىَّ مُغلَقًا كما تركْتُه ، لكنى وجدْتُ بابَ الدولابِ مفتوحًا ، والحلِىَّ الغاليةَ قد اختفَتْ كلُّها منه."

ثم عادَتْ تصرخُ: "لا تقولـوا العفاريتَ .. لقد قفزَ اللصُّ من فوقِ أسطحِ البيـوتِ المجاورةِ ، ودخـلَ من الفناءِ الداخلىِّ."

صاحَ حلاَّقُ القريةِ "الأسطى شلبى" : شىءٌ باردٌ جـدًّا. هـذه ثالثُ سرقةٍ فى شهرٍ واحدٍ!! لو وقع اللص تحتَ الموسى الذى أحلقُ به، لكانَتْ نهايتُهُ!!"

وقالَ البقَّـالُ "المُقـدَّس برسـوم" : "مـن المؤكَّـدِ أن اللـصَّ مـن أهـلِ

DVD4ARAB

البلدِ.. إنه يعرفُ أصحابَ الحليِّ الذهبيةِ ، ويعرفُ أين يُخفونَها!! لو أمسكْتُه ، لقطَّعْتُه وبعْتُه فى قراطيسَ!!"

وتَبادَلَ الواقفونَ نظراتِ القلقِ والحيرةِ ، كانَتِ القريةُ تنعمُ بالأمانِ: الأبوابُ دائمًا مفتوحةٌ ، والنوافذُ لا يُغلِقُها أحدٌ. وعندما تكرَّرَتِ السرقاتُ ، مع حكايات العفاريتِ ، أغلقوا النوافذَ والأبوابَ ، لكن ها هى السرقاتُ تستمرُّ!!

قال الحاجُّ سالم ، صاحبُ ماكينةِ الريِّ ، الذى سرقَ اللصوصُ ذهبَ زوجتِهِ:

"لن نستطيعَ النومَ فى أمانٍ بعدَ اليومِ ، إلا إذا عرَفْنا السارقَ وقبَضْنا عليه .. هيا نُخبرُ العمدةَ."

وقبل أن يتحرَّكَ صاحبُ ماكينةِ الريِّ ، والحلاقُ وبرسوم البقالُ وتفيدة صاحبةُ الذهبِ المسروقِ ، وبقيةُ المُتجمِّعينَ ، اندفعَ وسطَهم حسين، ابنُ كاتبِ الجمعيةِ الزراعيةِ الذى سبقَ أن تعرَّفْنا عليه ، وصاحَ فى لهفةٍ وانزعاجٍ:

"أين خالتى تفيدة ؟!"

وتلقَّاه برسوم البقالُ ، وسألَه وهو يحاولُ تهدئتَهُ: "ما لَكَ يا حسين؟ هل حدثَ شىءٌ فى منزِلكم؟"

أجابَ حسين مُنفعِلاً: "سافرَ أبى إلى مركزِ مغاغة ، لمُراجَعةِ حساباتِ الجمعيةِ ، وسيبيتُ هناك."

ثم خفضَ صوتَهُ ، وهو يقولُ بلهجةٍ تحملُ معنًى خطيرًا: "والدتى مريضةٌ جدًّا ..."

وسمعَتْهُ زوجةُ البقالِ ، فاقتربَتْ منه ، وسألَتْ: "والدتُكَ تنتظرُ مولودًا .. هل فاجأتْها الولادةُ؟"

DVD4ARAB

أجابَ حسين فى اندفاعٍ وهو خائفٌ من ضياعِ الوقتِ: "الستُّ المُولِّدةُ تساعدُ والدتى منذُ العصرِ ، لكنها تطلبُ معونةَ خالتى تفيدة ، لأن حالةَ أمِّى تسوءُ."

وأحسَّتْ زوجةُ برسوم البقالِ بالخطرِ الذى يهدِّدُ حياةَ والدةِ حسين ، فهمسَتْ بكلماتٍ إلى سيِّدتَيْنِ بجوارها ، ثم قالَتْ لزوجِها: "سنذهبُ نحن لنرى والدةَ حسين."

* * *

وفى منزلِ والدِ حسين كاتبِ الجمعيةِ ، وقفَتِ السيداتُ حولَ فراشِ "أم حسين" ، تتطلَّعُ كلٌّ منهن إلى الأخرى فى حيرةٍ وقلقٍ. كانَ واضحًا من صرخاتِ الأمِّ أن الإرهاقَ قد أنهكَها ، وأنها لن تستطيعَ مواصلةَ تحمُّلِ آلامِ الوضعِ الشديدةِ.

قالَتِ المُولِّدةُ ، التى كثيرًا ما ساعدَتْ نساءَ القريةِ أثناءَ حالاتِ الولادةِ: "الحالةُ غيرُ مُطَمْئِنَةٍ .. أريدُ مَنْ يساعدُنى .. اذهبْ يا حسين .. أحضرِ الطبيبَ."

كانَتِ الوحدةُ المجمعةُ التى بها المدرسةُ وعيادةُ الطبيبِ ومسكنُهُ ، عندَ أطرافِ القريةِ . وكانَتْ حكاياتُ العفاريتِ قد منعَتِ الأطفالَ من الذهابِ إلى الوحدةِ ليلاً ، لكن "حسين" خرجَ بسرعةٍ كالسهمِ ، وسطَ الظلامِ ، مُندفِعًا إلى الوحدةِ المُجمَّعةِ ، حيث توجدُ العيادةُ الطبيةُ ، وفوقَها مسكنُ الطبيبِ.

كانَتِ الساعةُ تقتربُ من العاشرةِ ليلاً ، ومع ذلك انطلقَ حسين يجرى حتى وصلَ إلى العيادةِ ، فشاهدَ نورًا يُشِعُّ من خلفِ زجاجِ نافذتِها، فأحسَّ بالراحةِ .. لابد أن الطبيبَ موجودٌ ، ولم يذهبْ تلك الليلةَ إلى قريةِ الشيخِ

DVD4ARAB

فضل المجاورةِ ، حيثُ يوجدُ بيتُهُ.

وفى عنفٍ ، قرعَ حسين البابَ ، فلم يُجِبْهُ أحدٌ ، وعاودَ الطرقَ بشدةٍ.

فسمعَ صوتًا يُخالِطُهُ النُّعاسُ يُقولُ: "مَنْ هناكَ؟"

DVD4ARAB

وعرفَ حسين صاحبَ الصوتِ.. إنه المُمرِّضُ "عمِّ ربيع".

قالَ حسينِ لنفسِهِ: عم ربيع المُمرِّضُ لا يحرصُ عادةً على البقاءِ في العيادةِ ، إلا إذا كانَ الدكتور موجودًا ، فصاحَ: "اصعدْ إلى الدكتور يا عمِّ ربيع.. والدتي مريضةٌ جدًّا. إنها تلدُ وحالتُها صعبةٌ . لابد أن يراها الطبيبُ في الحالِ."

وفتحَ الممرِّضُ بابَ العيادةِ ، وأطلَّ من فتحةِ البابِ ، وقالَ وهو لا يزالُ يقاومُ النُّعاسَ:

"كلُّ نساءِ البلدِ يلدْنَ من غيرِ حاجةٍ إلى الدكتور! لماذا تحتاجُ والدتُكَ أنتَ إلى طبيبٍ ؟!"

وخرجَ المُمرِّضُ من البابِ ، ووقفَ أمامَ حسين ، ثم دعكَ عينَيْهَ وقالَ: "الدكتور غيرُ موجودٍ . سيبيتُ الليلةَ في بيتِهِ بقريةِ الشيخِ فضل. هناكَ سيدةٌ أخرى تلدُ تحتاجُ إلى عنايتِهِ ، ذهبَ إليها بسيارتِهِ قبل الغروبِ. يمكنُ لوالدتِكَ أن تنتظرَ حتَّى الصباحِ .. لا تقلقْ."

لكن "حسين" كان شديدَ القلقِ .. كانَ يُدركُ أن حالةَ أمِّهِ لن تنتظرَ حتى الصباحِ ، فصاحَ في اندفاعٍ: "أنا خائفٌ يا عمِّ ربيع .. حالةُ والدتي خَطيرةٌ."

وغلبَ النعاسُ عم "ربيع" ثانيةً ، فانسحبَ إلى داخلِ العيادةِ ، وهو يقولُ في نفادِ صبرٍ: "الليلةُ شديدةُ الظلمةِ ، والطريقُ إلى الشيخِ فضل ملآنُ بالمقابرِ والعفاريتِ! اذهبْ ونمْ يا ابني ، ربُّنا يهديكَ .. واتركْني في حالي ، فالعمرُ غالٍ !!"

* * *

مكتبة مبارك العامة
Mubarak public Library

DVD4ARAB

ووجدَ حسين نفسهُ وحيدًا في الظلمةِ خارجَ بابِ العيادةِ، وقد نفذَتْ إلى أذنَيْهِ وعقلِهِ وأعصابِهِ كلماتُ: "المقابر والعفاريت!" وأحسّ بأطرافِهِ ترتعشُ.

وقفَ حسين لا تتحرّكُ قدماه من أمامِ بابِ العيادةِ .. إنه كثيرًا ما تَظاهَرَ بالسخريةِ من "حكاياتِ العفاريتِ"، هو و "وجيه" أعزُّ أصدقائِهِ، وهما يردّدانِ قولَ والدِ حسين: "إن أسوأ العفاريتِ هو ابنُ آدمَ."

DVD4ARAB

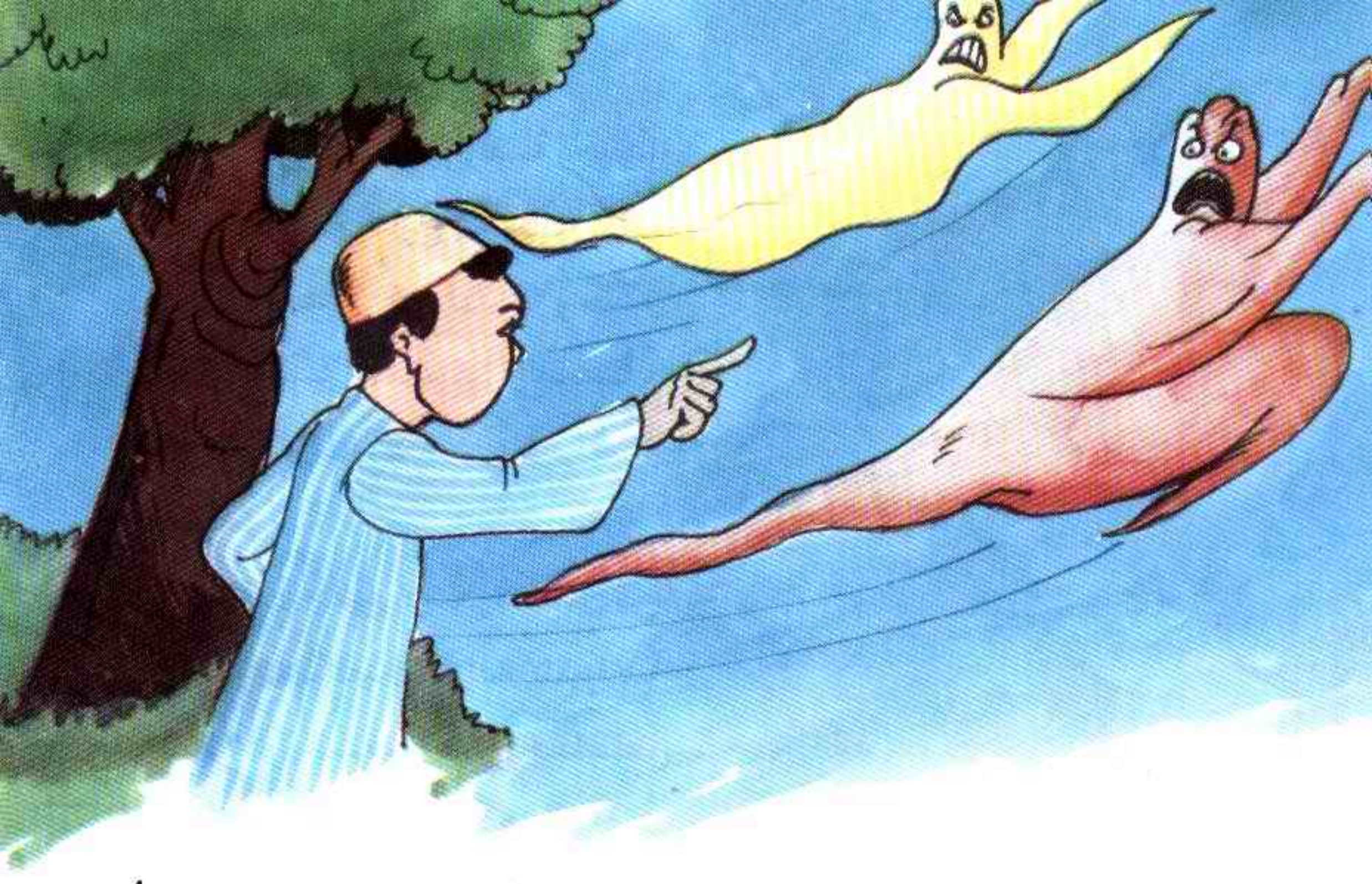

وأخيرًا استطاعَ حسين أن يتماسكَ ، وقالَ يشجِّعُ نفسَهُ: "الشجاعةُ الحقيقيةُ أن أذهبَ لإحضار الطبيبِ الآنَ من قريةِ الشيخِ فضل ، لا أن أشاركَ فى سرقةِ حَدائقِ عمِّ توفيق. وإذا ظهرَ لى العفريتُ الأبيضُ أو الأسودُ ، أتلو آيةَ الكرسى ، فيهربُ من غير لكاعةٍ!!"

كانَ اتِّهامُ الأصدقاءِ له بالجبنِ يضايقُهُ ويطاردُهُ ، وسيطرَتْ عليه فكرةُ إثباتِ شجاعتِهِ ورجولتِهِ. وأخيرًا همسَ لنفسِهِ: " أعودُ أولاً إلى البيتِ، فقد تكونُ حالةُ والدتى قد تحسَّنَتْ."

واتَّجهَ بسرعةٍ نحوَ البيتِ. وعندَ البابِ ، كانَتِ المُولِّدةُ تقفُ ، والقلقُ يبدو واضحًا على وجهِها. وما إن رأتْ "حسين" يقتربُ حتى صاحَتْ به: "أين الدكتور ؟! لماذا لم يحضُرْ معَكَ ؟! "

وبصوتٍ يملؤُهُ الإحساسُ بخطورةِ الموقفِ ، قالَ حسين: "الدكتور فى قريةِ الشيخِ فضل .. سيبيتُ هناكَ الليلةَ."

DVD4ARAB

وفوجئَ الفتى بالمُولِّدةِ تلطمُ خدَّها بكفِّها ، وتقولُ فى جزعٍ: "يا للمصيبةِ!" وفى نفسِ اللحظةِ ، خرجَتْ زوجةُ المُقدِّسِ برسوم البقالِ من البيتِ ، وصاحَتْ فى المولِّدةِ: "ستموتُ أمُّ حسين.. لن تتحمَّلَ هذه الآلامَ حتَّى الصباحِ !"

وزالَ تردُّدُ حسين ، واشتعلَ ذهنُهُ يفكِّرُ فيما سيحتاجُهُ خلالَ ذلك الطريقِ المُظلِمِ المُجاور للمقابرِ ، المُتَّجِهِ إلى الشيخِ فضل . فدخلَ الدارَ ، وتَناوَلَ عصاً ، ووضعَ فى جيبِهِ علبةَ ثقابٍ ، وأوراقًا من صحيفةٍ قديمةٍ ، فقد سمعَ أن العفاريتَ تخافُ من النور والنار .

DVD4ARAB

ثم اندفعَ يجرى.

وفى الطريقِ ، تَذكَّرَ حسين صديقَهُ "وجيه" ، الذى يكبرُهُ بعامَيْنِ ، وكان يكرِّرُ هو أيضًا قولَ والدِهِ شيخِ البلدِ ، إن هناكَ شيئًا غيرَ عادِىٍّ فى الطريقِ المُمتدِّ من قريةِ شارونة إلى قريةِ الشيخِ فضل .. شيئًا يُسمِّيهِ أهلُ القريةِ "عفاريت" ، لكن "حتَّى العفاريتُ تخافُ من الشجعان !!" كما كانَ يؤكِّدُ والدُ وجيه.

وهمسَ حسين لنفسِهِ:

"لماذا لا أصحبُ معى صديقى "وجيه"، فنواجهُ معًا ما قد يحدثُ من هذا الشىءِ غيرِ العادىِّ فى الطريقِ ؟"

وبسرعةٍ ، اتَّجهَ حسين إلى بيتِ صديقِهِ.

* * *

ودهشَ حسين عندما قالَتْ والدةُ وجيه إنه غيرُ موجودٍ بالدار ، فلم يكنْ وجيه مُعتادًا أن يتأخَّرَ إلى ذلك الوقتِ من الليلِ ، لكن الأمَّ لم تلبثْ أن قالَتْ: "لقد ذهبَ إلى بيتِ العمدةِ .. البلدُ كلُّها هناك."

وفى الحالِ اندفعَ حسين إلى دُوَّار العمدةِ ، فوجدَ نورَ "الكلوب" يُشِعُّ من نافذةِ "المَضْيَفَةِ" الواسعةِ ، والعمدةُ قد جمع الخُفَراءَ من حولِهِ ، وراحَ يستمعُ ، للمرةِ الرابعةِ أو الخامسةِ ، إلى قصةِ السرقةِ التى حدثَتْ فى بيتِ الحاجِّ ، صاحبِ ماكينةِ الرىِّ.

وعثرَ حسين على صديقِهِ "وجيه" ، يقفُ مع مجموعةٍ من الأصدقاءِ فى أحدِ أركانِ "المَضْيَفَةِ". فأسرعَ وأمسكَ بيدِ وجيه ، وسحبَهُ خارجَ المضيفةِ وهو يقولُ: "أريدُكَ فى أمرٍ مُهِمٍّ .. أمرٍ خطيرٍ وعاجل."

DVD4ARAB

DVD4ARAB

وخرجَ وجيه مع حسين ، يصحبُهما عددٌ من زملائِهما ، التفتَ إليهم وجيه وقالَ: "ما دامَ الخُفَراءُ لا يستطيعون أن يقوموا بواجبهم فى حراسةِ أهلِنا ، فيجبُ أن نقومَ نحن بتنظيمِ الحراسةِ حولَ بيوتِنا."

ونظرَ إليه مسعود ، أكبرُ الزُّمَلاءِ سنًّا وجسمًا ، وقالَ فى سخريةٍ: "رأسُكَ ملآنُ دائمًا باقتراحاتٍ أكبرَ منك يا وجيه!"

ولم يتركْ حسين لوجيه وقتًا يردُّ فيه على مسعود ، الذى كانَ يظنُّ نفسَهُ شجاعًا بسببِ قيادتِهِ بقيةَ الزُّمَلاءِ فى مغامراتِ سرقةِ حدائقِ الفاكهةِ، بل أمسكَ بيدِ وجيه ، وأخذَ يجذبُهُ بعيدًا عن الزُّمَلاءِ ، فصاحَ به وجيه: "لماذا تشدُّنى هكذا يا حسين؟! ماذا حدثَ لك ؟!"

قالَ حسين: "لابد أن أذهبَ الآنَ إلى قريةِ الشيخِ فضل .. هيَّا معى."

والتفتَ وجيه إلى حسين ، وحملقَ فى وجهِهِ بدهشةٍ ، وصمتَ لحظةً ، ثم قالَ فى استنكار: "قريةُ الشيخِ فضل ؟! الآنَ؟!"

قالَ حسين: "والدتى مريضةٌ جدًّا .. حالتُها خَطِيرةٌ .. لابد من استدعاءِ الدكتور من هناك. لا يُمكِنُ الانتظارُ حتى الصباحِ. والدى يبيتُ فى مغاغة ، وستتعرَّضُ حياةُ والدتى للخطرِ إذا تأخَّرْنا."

DVD4ARAB

وتَردَّدَ وجيه لحظةً ، وقد تذكَّرَ هو أيضًا حكاياتِ العفاريتِ ، لكنه لم يلبثْ أن التفتَ إلى أحدِ الزُّمَلاءِ ، وقالَ له وهو يحاولُ أن يُخفِىَ قلقَهُ: "اذهبْ وأخبرْ والدى أننى مع حسين. والدتُهُ مريضةٌ ، وسنذهبُ معًا للبحثِ عن الطبيبِ."

وحرص ألا يذكرْ شيئًا عن الذهابِ إلى قريةِ الشيخِ فضل ،التى تعتقدُ القريةُ كلُّها ، أن العفاريتَ تقطعُ ليلاً الطريق المُمتدَّ إليها ، حتى لا يُثيرَ قلقَ والدَيْهِ.

* * *

تركَ الصديقانِ آخرَ أضواءِ القريةِ خلفهما ، وهما يمشيانِ فوقَ الطريقِ الترابىِّ الضيقِ المُتَّجهِ إلى الشيخِ فضل ، وقد امتدَّتْ إلى يمينِهما زراعاتُ الذرةِ العاليةِ ، وانسابَتْ إلى يسارهما الترعةُ التى تروى بمياهِها المنطقةَ كلَّها.

وحدَّقَ الصديقانِ ببصرِهما ، فلم يتبيَّنا من معالمِ الطريقِ شيئًا . كانَ الظلامُ شديدًا ، فبدأ كلٌّ منهما يُبطِّئُ من خطواتِهِ ، كأنه يخشَى من مواجهةِ المجهولِ فى ذلك الليلِ الأسودِ.

سأل وجيه صاحبَهُ فى تردُّد: "ما لك؟!"

DVD4ARAB

قالَ حسين وهو يحاولُ السيطرةَ على نفسِهِ: "لا شيءَ .. أمشى ببطءٍ لكى لا أتعثَّرَ فى حفرةٍ ، أو فى بعضِ مُخلَّفاتِ المواشى."

وأضافَ بعدَ لحظةٍ ، كأنما يبثُّ الشجاعةَ فى نفسِهِ:

"لو عرفَ والدى أن والدتى ستلدُ الليلةَ ، لما ذهبَ إلى مغاغة ، وبينَنا وبينَها النيلُ ، ولا توجدُ معديةٌ أثناءَ الليلِ. لابد أن نصلَ إلى الطبيبِ بسرعةٍ .. يُمكِنَنا أن نكونَ فى قرية الشيخِ فضل خلالَ ساعةٍ."

أجابَ وجيه: "لن نستطيعَ السيرَ بسرعةٍ فى هذا الظلامِ."

وصمتَ لحظةً ، ثم أضافَ: "لكنْ عندَما نصلُ ، سيجيءُ معنا الدكتور بسيارتِهِ."

وتعثَّرَتْ قدمُ وجيه فى مُخلَّفاتِ بعضِ المواشى ، وكادَ يقعُ ، فتوقَّفَ، وقد شعرَ بالخوفِ ، وتلفَّتَ حولَهُ ، وأضافَ:

"لسْتُ أعرفُ كيفَ يستطيعُ الدكتور أن يسيرَ بسيارتِهِ فوقَ هذا الطريقِ؟! إنه طريقٌ ضيِّقٌ ، كلُّهُ ترابٌ ، والمواشى تتزاحمُ فيه طولَ النهار."

قالَ حسين ، وهو يشجِّعُ صديقَهُ على مواصلةِ السيرِ: "مهما يكُنْ بطءُ سيارتِهِ فإنها أسرعُ من أقدامِنا !! وفى الليلِ ، لن تزاحمَها المواشى."

* * *

وأخذَ الهواءُ يدفعُ أعوادَ الذرةِ الطويلةَ على يمينِ الطريقِ ، فتتمايلُ وتصدرُ عن أوراقِها وشْوَشَةٌ خافتةٌ . كانَتِ الوشوشةُ ترتفعُ أحيانًا ، فيرتجفُ معها قلبا الصديقَيْنِ ، ثم يغتصبانِ الضحكَ ، لخوفِهما من أصواتٍ يسمعانِها طوالَ النهار ، فلا تُثيرُ شيئًا من اهتمامِهما.

وفجأةً صرخَ وجيه ، وقفزَ إلى الوراءِ قفزةً عاليةً!

DVD4ARAB

وسألَهُ حسين وقد فزعَ هو الآخرُ:

"ماذا حدثَ يا وجيه؟!"

قالَ وجيه:

"ضربَني شيءٌ في ساقي!"

سألَ حسين في قلقٍ حقيقِيٍّ:

"هل أصابَكَ أذًى؟"

وانحنَى وجيه يتحسَّسُ ساقَهُ ، فلمسَتْ يدُهُ شيئًا كانَ يقفزُ بين رجلَيْهِ.

وكانَ يفكِّرُ في حقيقةِ ما حدثَ وهو يقولُ: "لم يحدثْ شيءٌ!"

ثمَّ أضافَ بعدَ لحظةٍ:

"أظنُّ أن ضفدعةً ارتطمَتْ بساقي .. لقد جعلَتْنا الحكاياتُ نخافُ من كلِّ شيءٍ."

قالَ حسين فى ارتياحٍ:

"أفزعْتَنى ... لقد تذكَّرْتُ الساقَ المكسورةَ لحمار نجار القريةِ!"

قالَ وجيه: "وتذكَّرْتُها أنا أيضًا."

قالَ حسين: "آه لو رآنا حمارُ نجار القريةِ .. لنهقَ كثيرًا لكى نرجعَ!!"

وعادَ الصديقانِ يضحكانِ ضحكًا يخالطُهُ القلقُ ، وواصلا السيرَ.

* * *

DVD4ARAB

أخذَتْ حقولُ الذرةِ تختفى ، وبدأتْ تظهرُ على جانبِ الطريقِ الأيمنِ المنطقةُ المرتفعةُ ، التى تتجمَّعُ فوقَها المقابرُ . وأحسَّ الصديقانِ برهبةٍ ، وهما يتطلَّعانِ إلى قِطَعِ الأحجار والغُرَفِ الصغيرةِ ، التى ظهرَتْ كُتَلاً سوداء مختلفةَ الأطوالِ والأحجامِ فوقَ المقابرِ ، لكن السكونَ ظلَّ مُخيِّمًا.

قالَ حسين: "لا أُخفِى عليك يا وجيه أنَ أسنانى تصطكُّ ببعضِها!!"

DVD4ARAB

أجابَهُ وجيه: "لسْتَ بحاجة إلى أن تخفِىَ عنِّى ذلك.. إننى أستمتعْ بالموسيقى التى تُصدِرُها أسنانُكَ ، وأسنانى أيضًا!!"

وحاولَ حسين أن يتذكَّرَ أغنيةً يُغنِّيها ، لينسى حكاياتِ العفاريتِ ، ويبدِّدَ بها الصمتَ ورهبةَ الظلامِ. وقبلَ أن يفتحَ فمَهُ بكلمةٍ ، تناهَى إلى سمعِ الصبيَّيْنِ صوتُ عواءٍ!! وتوقَّفَ وجيه وهو يقولُ فى صوتٍ تشوبُهُ رنَّةُ خوفٍ:

"هذا عواءُ ذئبٍ!! لم يبقَ إلاَّ هذا!!"

نَسِىَ حسين كلَّ ما يتعلَّقُ بالأغنيةِ ، ومدَّ يدَهُ ، وأمسكَ ذراعَ صديقِهِ ، يشجِّعُهُ ليُواصِلَ السيرَ وهو يقولُ:

"العُواءُ بعيدٌ جدًّا .. بيننا وبينَهُ أكثرُ من ساعةٍ."

قالَ وجيه: "الذئابُ تأتى لتشربَ من الترعةِ."

وفى تلك اللحظةِ ، ارتفَع عُواءٌ آخرُ ، كانَ أقربَ كثيرًا من العُواءِ الأولِ. هنا توقَّفَ حسين أيضًا ، وأخذَ يُصغِى .. وعادَ العُواءُ يرتفعُ وقد ازدادَ قربًا!!

وشدَّدَ حسين قبضتَهُ على ذراعِ وجيه ، وقد جمعَ بينهما الصمتُ.

وبغيرِ أن ينطقَ الصديقانِ حرفًا واحدًا ، أخذا يتراجعانِ ، كأنما تراجعُهما سيُبعِدُهما عن الحيواناتِ الشَّرِسَةِ!!

عندئذٍ تذكَّرَ حسين الورقَ وأعوادَ الثقابِ التى معه ، فتمالَكَ نفسَهُ ، وأخرجَها من جيبِهِ ، وطوى قطعةَ ورقٍ ، وأطبقَ يدَهُ عليها حتى أصبحَتْ كالشمعةِ ، ثم أشعلَها ، فأضاءت الطريقَ حولَهما.

وتوقَّفَ عواءُ الذئابِ ، بل سمعَ الصديقانِ صوتًا كأنما الذئابُ تُسرِعُ لتختفِىَ بين المقابرِ المتناثرةِ.

DVD4ARAB

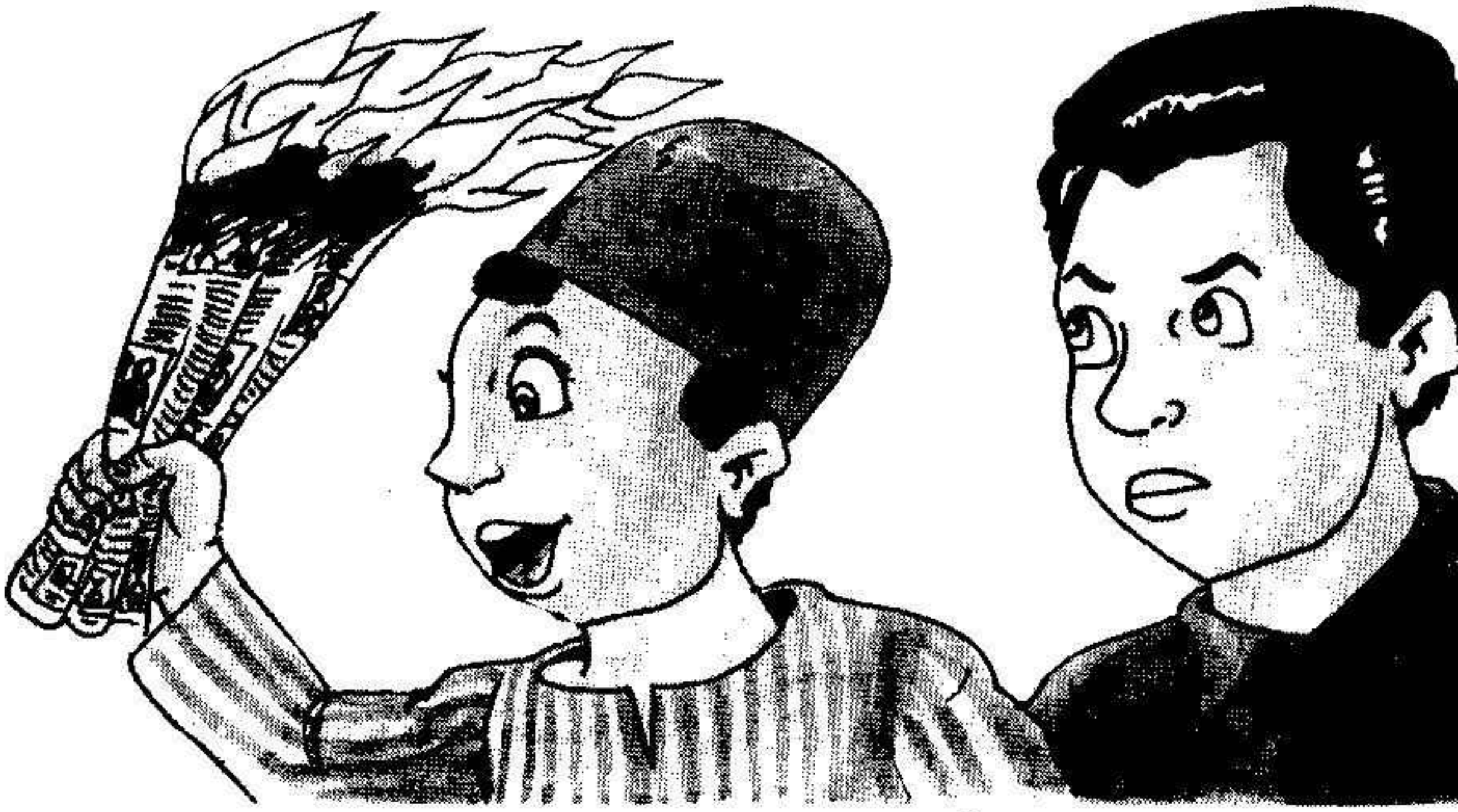

قالَ حسين: "الحيواناتُ تخافُ النارَ، والعفاريتُ أيضًا، لذلـك أحْضَرْتُ معى الورقَ والكبريتَ."

هنا همسَ وجيه فى فزعٍ:

"لنرجعْ .. الذئابُ تقطعُ علينا الطريقَ."

لكن "حسين" لم يشاركْ وجيه فزعَهُ، وقالَ مُتشكِّكًا، وقد تَذكَّرَ حالَ أمِّهِ:

"غريبٌ أن تأتِىَ الذئابُ مُبكِّرةً هكذا . والدى يقولُ إنها لا تأتى لتشربَ إلا قُرْبَ الفجرِ!!"

ثم صمتَ لحظةً يفكِّرُ، فسألَهُ وجيه: "لماذا سَكَتَّ؟!"

قالَ حسين: "تَذكَّرْتُ أيضًا أن الذئابَ، عندما تنزلُ من الجبلِ، لا تعبرُ الترعةَ أبدًا إلى هذا الجانبِ الأيمنِ الذى نسيرُ عليـه، فكيفَ سمِعْنا صوتَها، كأنها تختفى من النار بينَ المقابرِ؟!"

DVD4ARAB

وانطفأتِ الورقةُ المُشتعِلةُ ، فسمعَ حسين شيئًا آخرَ. وأرهفَ سمعَهُ، ثم سألَ "وجيه": "هل سمعْتَ؟!"

أجابَ وجيه: "كلا .. لم أسمع شيئًا .. ماذا سمعْتَ أنتَ؟"

همسَ حسين: "شيئًا يُشبِهُ الضحكَ ..!"

واندفعَ وجيه يقولُ فى فزعٍ: "الضحكَ؟! تقولُ الضحكَ؟! هيا نرجعْ.. لنرجْع قبلَ أن يبتلَّ سروالى!!"

قالَ حسين: "لماذا تَضاعَفَ فزعُكَ بهذا الشكلِ؟!"

أجابَ وجيه: "صوتُ الضبعِ يُشبهُ الضحكَ .. هناكَ ضبعٌ فى طريقِنا!"

وفى ثقةٍ قال حسين: "لا .. لسْتُ أعتقدُ أنها ضحكةُ ضبعٍ! "ثم صمَتَ لحظةً ، وأضافَ بصوتٍ هامسٍ:

"هناكَ شىءٌ غريبٌ يحدثُ حولَنا ... أظنُّ أن هناكَ شخصًا يحاولُ تقليدَ صوتِ الضبعِ لكى نخافَ!!"

فتَساءَلَ وجيه: "ما الذى يدورُ فى خاطرِكَ؟"

أجابَ حسين فى همسٍ خافتٍ:

"لعلَّ هناك مَنْ يُريدُنا أن نبتعدَ عن هذا الطريقِ . هيا نتظاهرُ بأننا سنعودُ إلى شارونة."

تَساءَلَ وجيه فى دهشةٍ: "نتظاهرُ؟!"

ولم يَرُد حسين على تساؤلِ وجيه ، بل قالَ فى صوتٍ مرتفعٍ مسموعٍ ، وفى نبرةٍ واضحةٍ رنَّانةٍ:

"الذئابُ تقطعُ الطريقَ .. هيا نعودُ .. يجبُ أن نعودَ بسرعةٍ إلى شارونة."

DVD4ARAB

وأمسكَ حسين بيدِ وجيه ، وجذبَهُ معَهُ ، وغيَّرا اتجاهَهُما ، وسارا بسرعةٍ في طريقِ العودةِ.

وحاولَ وجيه أن يتكلَّمَ ، فأسكَتَهُ حسين ، إلى أن قطَعا مسافةً كبيرةً. عندئذٍ تَوقَّف حسين ، وأوقفَ صديقَهُ معَهُ.

ومالَ حسين على أذنِ وجيه ، وهمسَ:

"سنعودُ الآنَ ونتَّجهُ كما كنَّا إلى قرية الشيخِ فضل. لكن احرِصْ ألا يصدرَ عنكَ أيُّ صوتٍ .. لا كلمة ، ولا همسة .. واحرصْ ألا تصطدمَ قدمُكَ بأيِّ شيءٍ. وسيتكفَّلُ الظلامُ بأن يُخفِيَنا تمامًا."

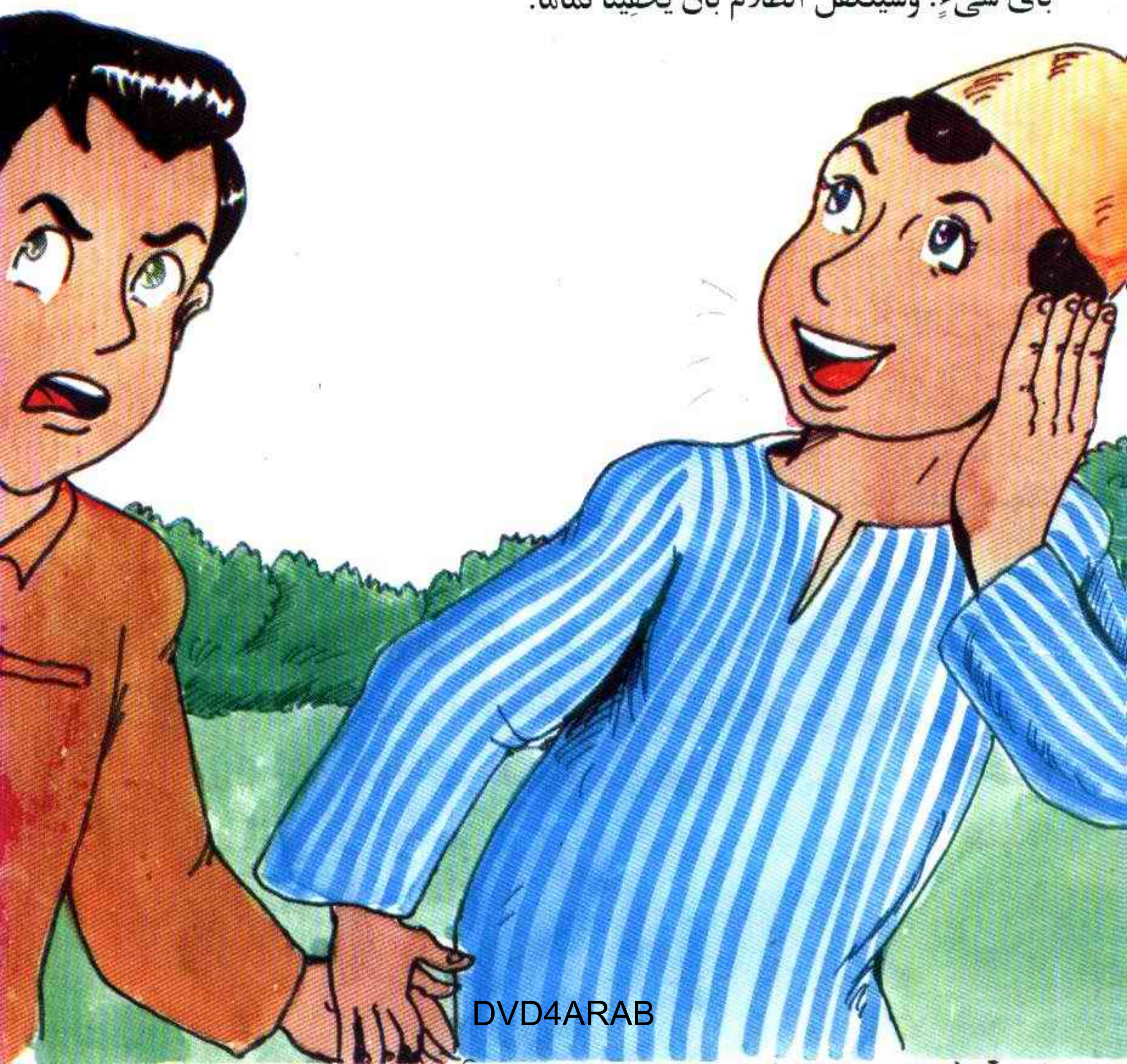

DVD4ARAB

وحاولَ وجيه أن يستفسرَ عن معنى تصرُّفاتِ حسين ، لكن "حسين" أسكتَهُ وهو يقولُ: "ربما أتوهَّمُ أشياءَ ، وربما أكونُ على حقٍّ فيما أظنُّ. حاولْ أن تنفِّذَ ما طلبْتُهُ منك ، وسنتحقَّقُ سريعًا من النتيجةِ."

وفى هدوءٍ شديدٍ ، عادَ الصديقانِ يتجهانِ إلى قريةِ الشيخِ فضل ، يُخفيهما الحرصُ والخوفُ والظلامُ.

وغادا يخترقانِ منطقةَ الطريقِ المجاورة للمقابر ، من غيرِ أن يسمعا عواءَ الذئابِ مرةً أخرى ، ولا صوتَ الضحكِ الذى يحاولُ أن يقلِّدَ عواءَ الضباعِ!!

وفى الصفِّ الأماميِّ من المقابرِ ، وعلى حافةِ الطريقِ ، ظهرَتِ الكتلةُ السوداءُ للمبنى المُقامِ فوقَ مقبرةِ "الشيخ درويش".

كان المبنى غرفةً صغيرةً ، لها بابٌ واحدٌ ، ونافذةٌ واحدةٌ مُغلَقةٌ على الدوامِ.

ورغمَ الرهبةِ التى أحسَّ بها الصديقانِ وهما يتسلَّلانِ بجوار منطقةِ المقابرِ ، التى سمعا أن "العفاريتَ" اعتادَتْ أن تقابلَ أهلَ القريةِ عندَها ، فقد استمرَّا فى سَيْرِهما ، يشجِّعُهما على التقدُّمِ توقُّفُ أصواتِ الذئابِ والضباعِ ، وقد حرصَ الصديقانِ ألا يصدُرَ عنهما أىُّ صوتٍ.

وفجأةً أمسكَ حسين بذراعِ وجيه ، وأوقفَهُ عن السيرِ ، وقد جمعَ بينهما هذه المرةَ خوفٌ حقيقىٌّ.

لقد سمعَ وجيه ما سمعَهُ حسين: أصواتًا آدميَّةً تتحدَّثُ فى همسٍ!!

وشلَّ الخوفُ حركةَ الصديقَيْنِ ، وقد تركَّزَتْ كلُّ حواسِّهما فى آذانِهما.

كانَتِ الأصواتُ قادمةً من ناحيةِ الغرفةِ المُقامةِ فوقَ مقبرةِ الشيخِ درويش!!

DVD4ARAB

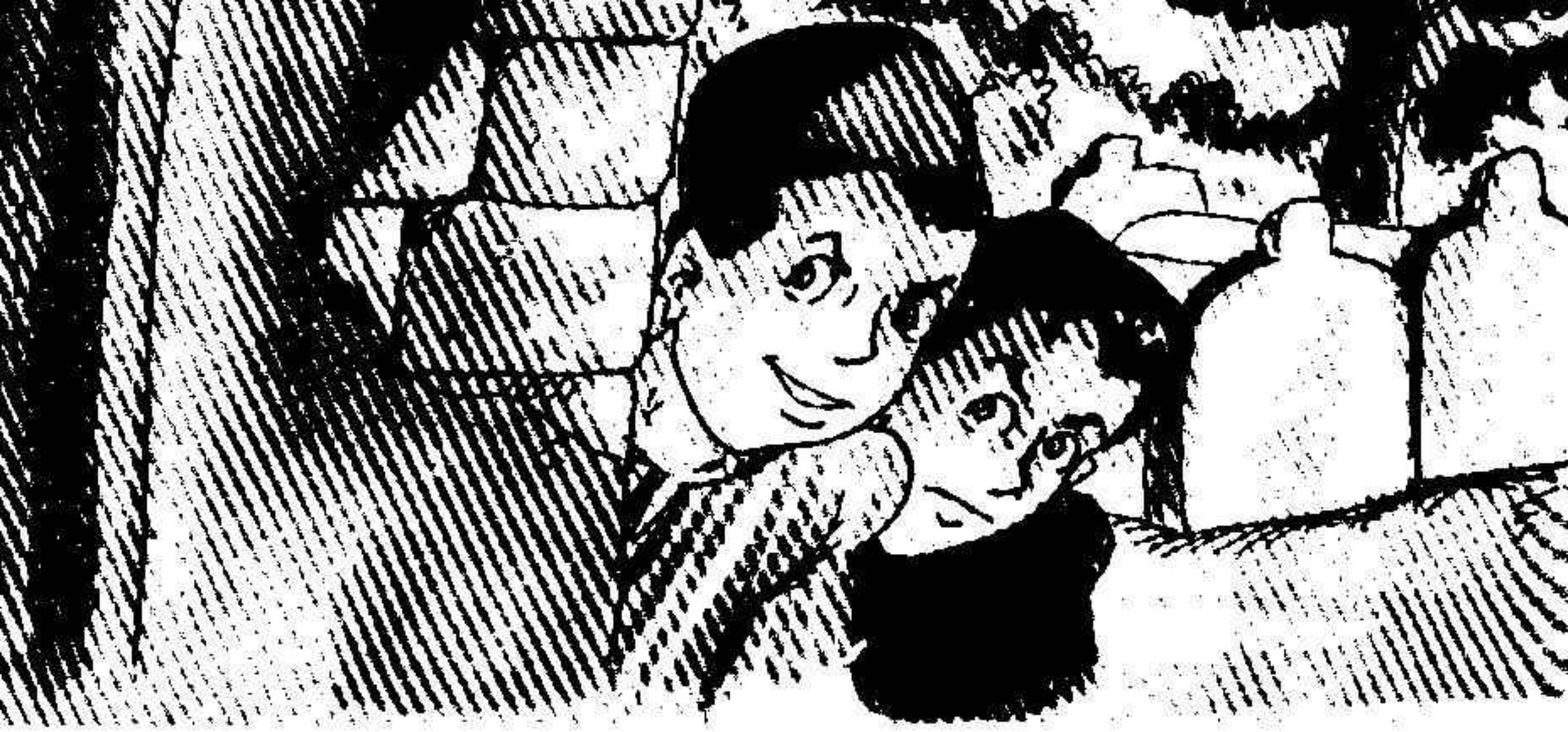

وتحتَ تأثيرِ الخوفِ الشديدِ ، ركعَ حسين على يدَيْـهِ وركبتَيْهِ ، وجذَبَ معه "وجيه" إلى الأرضِ.

وبعدَ دقائقَ ، هدأ خوفُهما قليلاً ، فبدأ الصديقانِ يزحفانِ ، للاختباءِ بجوار المقبرةِ . وفى أسفلِ الجدار ، تحتَ نافذةِ غرفةِ المقبرةِ ، التصقَ الصديقانِ بالحائطِ ، بحيثُ يستحيلُ أن يميِّزَ إنسانٌ شكلَهُما فى الظلامِ.

ووصلَتِ الأصواتُ إلى سمعِهما ، فحاولا متابعتَها فى حرصٍ ، رغمَ الخوفِ الذى كانَ يمنعُهما من إصدار أىِّ صوتٍ.

كانَ واضحًا أن هناك شخصَيْنِ داخلَ غرفةِ المقبرةِ ، يتحدَّثانِ بصوتٍ مُنخفِضٍ.

كان أحدُهما يقولُ للآخرِ: "لقد ملأهما الخوفُ ، فأسرعا بالهروبِ."

أجابَ الآخرُ: "كانَ يجبُ ألا يقابلَنا أحدٌ هذه الليلةَ ، ونحنُ نحملُ كلَّ هذا الذهبِ."

وضغطَ حسين على ذراعِ وجيه ، وأجابَهُ وجيه بضغطةٍ مُشابهةٍ: إذْنَ فهذِهِ هى عفاريتُ طريقِ الشيخِ فضل!! هذه العفاريتُ الَّتى لم تظهرْ إلا خلالَ الأسابيعِ الأخيرةِ ، مع بدايةِ وقوعِ السرقاتِ فى القريةِ!

DVD4ARAB

وتَناهَى إلى سمع الصديقَيْنِ صوتُ اللصَّيْنِ مرةً ثانيةً. كانَ الصوتُ الأولُ يقولُ: "لن يتصوَّرَ أهلُ القريةِ ، أننا يُمكِنُ أن نعودَ إليهم فى مُغامَرةٍ جديدةٍ فى نفسِ هذه الليلةِ .. سيتخلَّى عنهم الحَذَرُ تمامًا بقيَّةَ هذا الليلِ."

وعادَ حسين يضغطُ على ذراعِ وجيه ، وقد سرَتْ فى جسمِهِ رجفةٌ.

قالَ الصوتُ الثانى: "هل عايَنْتَ دكانَ البقالِ؟"

قالَ الصوتُ الأولُ: "عاينتُ كلَّ شىءٍ .. لقد سهرَ أهلُ القريةِ الليلةَ كثيرًا ، وقُبَيْلَ الفجرِ يستغرقونَ فى نومٍ ثقيلٍ ، فلن ينتبهَ إلينا أحدٌ. لكنْ يجبُ أن نُخْفِيَ أولاً ما حصلْنا عليه من ذهبٍ ، قبلَ أن نعودَ إلى القريةِ."

أجابَ الصوتُ الثانى: "وهل تظنُّنى أنتظرُ نصيحتَكَ؟! لقد أخفَيْتُهُ. إن مقبرةَ الشيخِ درويش هذه مكانٌ ممتازٌ لإخفاءِ كلِّ شىءٍ . لكنْ يبدو أن حصيلةَ الليلةِ قد أنسَتْكَ عشاءَنا".

قالَ الصوتُ الأولُ: "سأتسلَّلُ إلى شارونة لأسمعَ الأخبارَ ، وأحضِرَ الطعامَ."

وتأهَّبَ اللصُّ للخروجِ من مبنى المقبرةِ ، فأسرعَ الصديقانِ يتكوَّمانِ على الأرضِ ، وقد التصقا تمامًا بالجدار ، وأصبحا كأنهما قطعةٌ من طينِ الأرضِ الأسود.

* * *

عندما تأكَّدَ الصديقانِ من ابتعادِ اللصِّ ، عادَ حسين يسحبُ ذراعَ صديقِهِ "وجيه" ، ويتَّجهانِ فى نفسِ الهدوءِ لإكمالِ طريقِهما إلى الشيخِ فضل.

وبعدَ أن ابتعدا مسافةً كافيةً ، همسَ وجيه:

"لم أتعرَّفْ عليهما من صوتِهما."

DVD4ARAB

DVD4ARAB

قالَ حسين: "وكان الظلامُ أشدَّ من أن يسمحَ لى بتبيُّنِ ملامحِ مَنْ خرجَ. لكننا لن نتركَهما يسرقانِ دكانَ البقالةِ .. وسنعرفُ عندئذٍ منْ هو السارقُ!"

قالَ وجيه: "لكننا الآنَ فى طريقِنا إلى الشيخِ فضل .. كيفَ سنمنعُ السرقةَ التى ستحدثُ بعدَ ساعاتٍ فى شارونة؟"

قالَ حسين: "سنعودُ إلى قريتِنا قبلَ الفجرِ بوقتٍ طويلٍ. لكنْ لابد أن نُسرِعَ الآنَ إلى قريةِ الشيخِ فضل ، لإنقاذِ والدتى."

* * *

وصلَ الصديقانِ إلى قريةَ الشيخِ فضل قبلَ مُنتصَفِ الليلِ، فوجداها قد نامَتْ. وانطلقا من طريقٍ إلى طريقٍ، فلم يقابلا شخصًا واحدًا يسألانِهِ عن بيتِ الطبيبِ.

وأخيرًا شاهدا بابًا مفتوحًا ، يُشِعُّ منه الضوءُ ، وتبيَّنا أنه مَخبزُ القريةِ.

ودخلَ الصديقانِ ، فوجدا عاملَيْنِ يشتغلانِ فى عجنِ الدقيقِ.

قالَ وجيه:"السلامُ عليكم.."

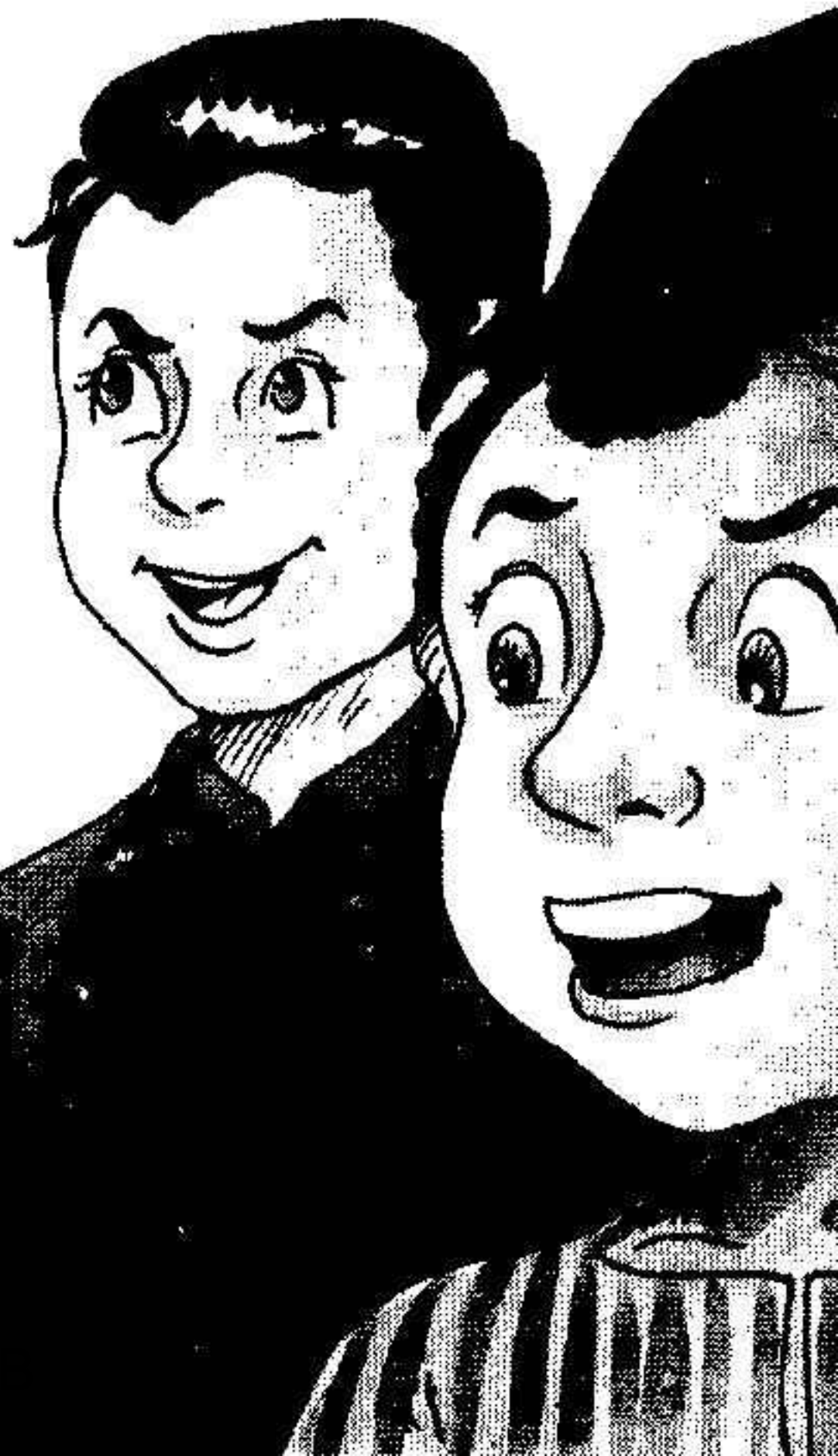

DVD4A

صاحَ أحدُ العاملَيْنِ: "لا يوجَدُ خبزٌ الآنَ .. بعدَ ساعتَيْنِ .."

قالَ وجيه: "لقد أتَيْنا الآنَ من شارونة .. جِئْنا نبحثُ عن بيتِ الدكتور زايد."

صاحَ العاملُ نفسُهُ في دهشةٍ شديدةٍ: "مِنْ..شارونة؟! الآنَ؟! وحدكما؟! حمدًا للهِ على سلامتِكما .. خيرٌ إن شاءَ اللهُ."

أجابَ حسين: "والدتي

DVD4ARAB

مريضةٌ جـدًّا ، ولابـد أن يراهـا الطبيبُ فى أسرعِ وقتٍ."

التفتَ العـاملُ إلى زميلِـهِ وقـالَ: "هـل يُمكِـنُ أن أتركَـكَ لحظـاتٍ ، لأصـلَ إلى بيـتِ الدكتور؟"

أجابَ الآخـرُ فى ترحيبٍ: "لو كانَ هناك غيرُنـا ، لذهبْتُ أنـا أيضًا معكم."

* * *

وقابلَ الثلاثةُ الطبيبَ وهـو يدخلُ بيتَهُ ، بعد عودتِهِ من عمليةِ الولادةِ ، التـى اضطرَّتْهُ أن يبيتَ تلكَ الليلةَ فى قريةِ الشيخِ فضل.

وأدركَ الطبيـبُ ممـا قالَـهُ حسين ، مدى سوءِ حالـةِ والدتِـهِ ، فاستأذنَ من الصبيَّيْنِ لحظـاتٍ ، أخذَ خلالَـها ما سيحتاجُ إليه من أدواتٍ ودواءٍ ، ثم أركبَهُما سيارتَهُ ، وانطلقَ بهما فـى الطريـقِ الضيـقِ إلى شارونة.

* * *

DVD4ARAB

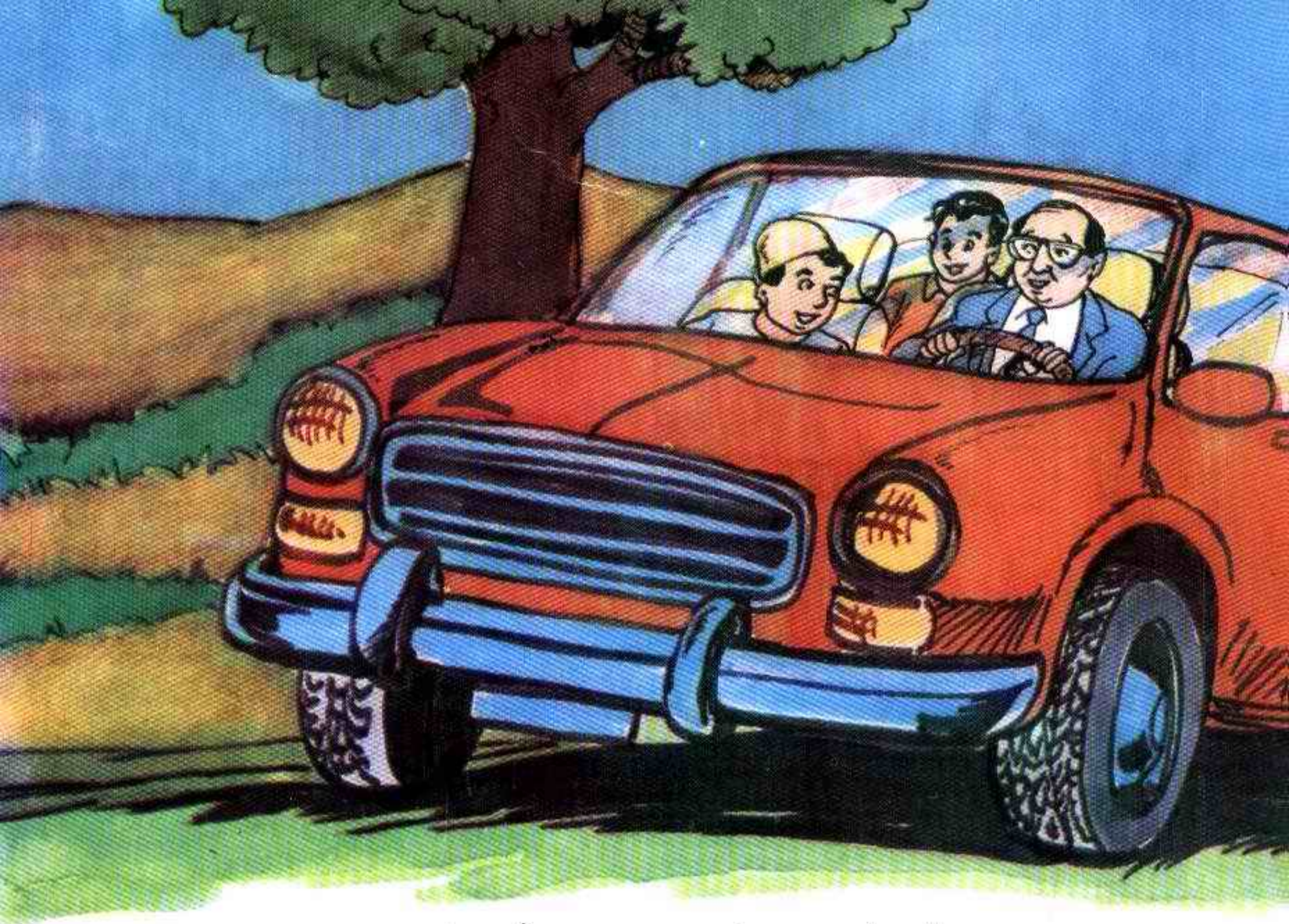

كانَتِ السيارةُ تسيرُ ببطءٍ ، وأضواؤها الكاشفةُ تبدِّدُ الظلامَ.

وأخيرًا وصلَتْ إلى شارونة.

وفى بيتِ حسين ، بدأ الطبيبُ يُجرِى للأمِّ الإسعافاتِ اللازمةَ ، ويُطمئِنُها على أن كلَّ شىءٍ سيكونُ على ما يُرامُ. قالَ: "سأبقَى بجانبِكِ إلى أن يزولَ الخطرُ."

وهمسَ وجيه لحسين: "هيا نذهبُ نحن إلى بيتِ العمدةِ."

وفى هدوءٍ تَسلَّلَ الصديقانِ خلالَ دروبِ القريةِ وطُرُقِها ، حتى وصلا إلى بيتِ العمدةِ.

* * *

كانَتِ الأضواءُ قد أطفِئَتْ فى المضيفةِ ، وسادَ السكونُ البيتَ الواسعَ الكبيرَ ، بعد أن تفرَّقَ أهلُ القريةِ ، وعادَ كلُّ واحدٍ إلى بيتِهِ.

DVD4ARAB

وما إنِ اقتربَ الصبيَّانِ ، حتى صاحَ الخفيرُ الجالسُ أمامَ البيتِ ، وهو يهبُّ واقفًا: "منْ هناكَ؟"

واقتربَ حسين فى هدوءٍ ، وقالَ فى صوتٍ منخفضٍ: "نُريدُ العمدةَ فى أمرٍ مهمٍّ."

رفعَ الخفيرُ صوتَهُ وقالَ: "العمدة نفسُهُ ؟! قلْ لى ماذا تُريدُ من حضرة العمدةِ ؟"

قالَ حسين بصوتٍ خافتٍ: "لا نستطيعُ أن نقولَ ما عندنا إلا للعمدةِ نفسِهِ."

قالَ الخفيرُ بصوتٍ مُرتفعٍ غاضبٍ: "هل هناك أسرارٌ لا يعرفُها إلا أمثالُكم من الصغار ؟! هيا اذهبْ أنت وهو!"

وتَأهَّبَ وجيه وحسين للردِّ على الخفيرِ الجافِّ الطبعِ ، عندما ظهرَ ضوءٌ فى نافذةِ "المَضْيَفَةِ" ، وأطلَّ العمدةُ نفسُهُ وهو يسألُ غاضبًا:

"ما هذه الضَّجَّةُ يا شيخَ الخفرِ؟! لو كنتم تهتمُّونَ بشغلِكم ، ويخافُ منكم اللصوصُ ، لما طارَ النومُ من عينى. والآنَ ، لماذا ارتفعَ صوتُكَ الغليظُ فى مُنتصَفِ الليلِ؟"

قالَ الخفيرُ: "هذان الطفلانِ يقولانِ إن معهما أسرارًا لابد من حكايتِها لك ، فطلبْتُ منهما الانصرافَ بغيرِ إزعاجٍ."

قالَ حسين، وهو يحاولُ أن يخفضَ من صوتِهِ: "الأمر مهمٌّ جدًّا يا حضرةَ العمدةِ."

وأضافَ وجيه: الأمرُ مهمٌّ جدًّا .. لابد أن تعرفَهُ الآنَ يا حضرةَ العمدةِ."

ورغمَ أن العمدةَ كانَ فى حاجةٍ شديدةٍ إلى النومِ ، بعدَ كلِّ الضجَّةِ

DVD4ARAB

DVD4ARAB

التى عانَى منها بسببِ سرقةِ الذهبِ والحليِّ ، من بيتِ صاحبِ ماكينةِ الريِّ ، فقد أحسَّ أن عند الصبيَّيْنِ شيئًا مُهِمًّا حقًّا ، فقالَ للخفيرِ:

"اتركْهما يدخلان يا مخلوف."

هنا همسَ وجيه للخفيرِ: "ألم أقلْ لك إن هذه أمورُ كبار ، لا تُناقَشْ إلا مع حضرة العمدةِ شخصيًّا؟!!"

وما إنْ دخلَ الصَّبيَّانِ ، حتى اقتربَ حسين من العمدةِ ، وهمسَ فى انفعالٍ: "عرفْنا سرَّ اللصوصِ!"

سألَ العمدةُ فى دهشةٍ: "أىُّ لصوصٍ؟!"

أجابَ حسين: "اللصوصُ الذين سرقوا بيوتَ القريةِ عدةَ مراتٍ."

وفتحَ العمدةُ عينيه فى دهشةٍ شديدةٍ ، وعادَ يسألُ: "وأىُّ سرٍّ آخرَ عندهم؟"

أجابَ حسين: "اللصانِ أنفسُهما سيسرقانِ فى هذه الليلةِ ، قبلَ الفجرِ، دكانَ بقالةِ المُقدِّسِ برسوم."

DVD4ARAB

هنا تنبَّهَتْ كلُّ حواسِّ العمدةِ ، وصاحَ فى دهشةٍ: "ومَنْ هما؟! ومنْ أخبركما بهذا؟!"

قالَ حسين :"لم نعرفْ شخصيَّتَهما ، لكننى سمعْتُهما أنا ووجيه ، وهما يختفيانِ فى مقبرةِ الشيخِ درويش."

صاحَ العمدةُ فى استنكارٍ: "وما الذى ذهبَ بكما إلى مقبرةِ الشيخِ درويش فى هذه الساعةِ من الليلِ؟!! ألم يحدثْ لكما شىءٌ ؟!"

قالَ حسين: "بل ذهبْنا إلى الشيخِ فضل ، وأحضَرْنا معنا الدكتور ليعالجَ والدتى."

وقالَ وجيه: "وإذا كنتم ستقومونَ بإعدادِ كمينٍ من الخفراءِ بجوار الدكانِ يا حضرةَ العمدةِ ، فلا يجبُ أن يُحِسَّ أحدٌ بذلك، لأن أحدَ اللصَّيْنِ فى القريةِ الآنَ ، يشترى طعامًا."

وازدادَتْ دهشةُ العمدةِ وتعجُّبُه: هل يصدِّقُ حكاياتِ هؤلاء الصغار؟ لكن تردُّدَهُ سرعانَ ما زالَ ، ورفعَ صوتَهُ يُنادِى الخفيرَ فى حزمٍ: "يا مخلوف .. استدْعِ ثلاثةً من زملائِكَ ، وتعالَوْا هنا."

* * *

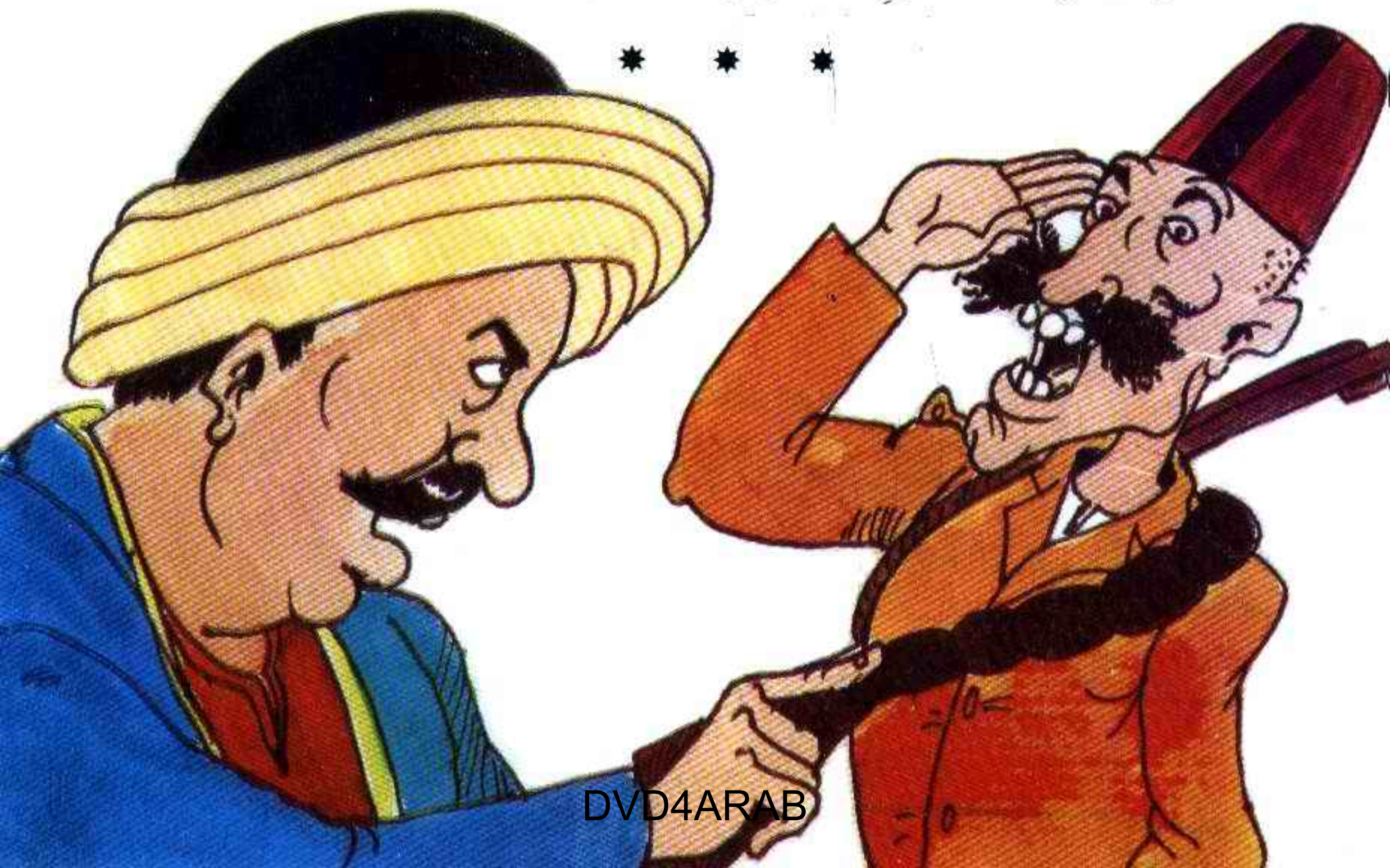

DVD4ARAB

واستجابةً لما أشارَ به الصبيَّانِ ، ولكى لا يُثيرَ العمدةُ انتباهَ اللصِّ الـذى لم يتعرَّفْ حتى الآن على شخصيتِهِ ، فإنه بدلاً من أن يُرسِلَ أحدَ الخُفَراءِ ، أرسلَ برسالةٍ إلى البقالِ لتحذيرِهِ ، وحرصَ حسين ألا يراهُ أحدٌ وهو يتسلَّلُ إلى بيتِ البقالِ برسوم ، الذى خصَّصَ الغرفةَ الأماميـةَ من بيتِهِ لتكونَ دكانًا للبقالةِ.

ولأن الوقتَ كانَ مُتأخِّرًا ، فإن بابَ البقالةِ كانَ مُغلَقًا ، لكن صاحبَها كانَ لا يزالُ مُستيقِظًا ، وقد انهمكَ فى إعدادِ "قراطيس" من الورقِ ، لتعبئةِ الشايِ والسكرِ ، اللذين يبيعُهما فى عبواتٍ صغيرةٍ لأهلِ البلدةِ.

وتَسلَّلَ حسين حتى أبلغَ الرسالةَ إلى البقالِ ، ثم انسحبَ بسرعةٍ.

أما الخُفَراءُ ، فقد انطلقوا بعدَ قليلٍ فى طرقاتِ القريةِ ، كأنهم يقومونَ بجولاتِهم المُعتادةِ . ثم بدءوا ، واحدًا بعدَ الآخرِ ، يتسلَّلونَ فى هدوءٍ ، إلى بيتِ البقالِ ودكانِهِ . وما إنْ يصلْ أحدُهم ، حتى يفتحَ له برسوم البقالُ بابَ بيتِهِ ، فقد كانَ ينتظرُهم بعد أنْ أطفأ كلَّ الأنوار . وصعدَ خفيران إلى السطحِ ، حيث اختبأ كلُّ واحدٍ منهما فى هدوءٍ خلفَ أحدِ الأوعيةِ الضخمةِ العاليةِ المصنوعةِ من الطينِ ، المُستخدَمَةِ لخزنِ الحبوبِ ، والتى يسمِّيها أهلُ الريفِ "صوامع الغلة". وكَمَنَ خفراءٌ آخرونَ، مُتخفِّينَ بجوار أبوابِ بعضِ البيوتِ.

وقبلَ الفجرِ ، لم يذهب اللصَّانِ مباشرةً إلى الدكانِ ، بل دخلا بيتًا مهجورًا على مبعدةِ بضعةِ بيوتٍ من بيتِ البقالِ ، ثم تَسلَّلا بخفةٍ من فوقِ أسطحِ البيوتِ ، حتى وصلا إلى سقفِ الدكانِ. ووقفَ أحدُ اللصَّيْنِ خلفَ سور السطحِ يراقبُ الطريقَ ، فى حين بدأ الآخرُ يثقبُ سقفَ الدكانِ.

وفى الوقتِ الذى ظنَّ فيه اللصَّانِ أنهما يوشكانِ على الفوز بغنيمةِ

DVD4ARAB

ثمينةٍ جديدةٍ ، استيقظَتِ القريةُ كلُّها على صوتِ طلقاتِ الرصاصِ ، فأضاءَت البيوتُ مصابيحَها ، وفتحَتْ أبوابَها.

وأدركَ اللصَّانِ أن الخفراءَ يحاصرونَهما فوقَ السطحِ ، فقفزَ أحدُهما فى جرأةٍ شديدةٍ إلى الطريقِ ، لكنه وجدَ نفسَهُ يسقطُ وسطَ بقيةِ الخفراءِ وبعضِ رجالِ القريةِ ، الذين كانوا قد تَجمَّعوا أمامَ دكانِ البقالِ.

ورغمَ المقاومةِ العنيفةِ التى أبداها أحدُ اللصَّيْنِ ، فإن ضربةً شديدةً على ساقَيْهِ ، من عصاً غليظةٍ لأحدِ الخفراءِ ، أوقعَتْهُ على الأرضِ.

وسرعانَ ما كانَتِ الحبالُ تقيِّدُ اللصَّيْنِ ، وقد تَكاثرَتْ عليهما أيدى الأعدادِ الكبيرةِ من الخفراءِ وأهلِ البلدِ ، الذين تَزاحَموا حولَهما.

* * *

DVD4ARAB

تأمَّلَ شيخُ الخفراءِ وجهَ أحدِ اللصَّيْنِ ، وقالَ فى ثقةٍ: "متى عدتَ إلى هنا يا "مدور" ؟ كنَّا قد استرَحْنا من جرائمِكَ عدَّةَ سنواتٍ. "

ثم التفتَ إلى الثانى ، وكان أصغرَ سنًّا ، وقالَ له فى احتقار:

"وأنت أيضًا يا شمروخ ؟! أنتَ الذى لم يظهرْ شاربُكَ إلا أخيرًا ، تجرى وراءَ لصٍّ مثلِ مدور!! سوف أعرِّفُكما مَنْ هو شيخُ الخفرِ .. أنا لا يُفلِتُ من بين يدَىَّ أىُّ لصٍّ!!"

* * *

وفى بيتِ العمدةِ ، التفَّ كلُّ أهلِ القريةِ حولَ حسين ووجيه ، يسمعانِ منهما كيفَ تَغلَّبا على عفاريتِ طريقِ الشيخِ فضل!!

وفى نفسِ الوقتِ ، كانَ العمدةُ يحقِّقُ مع اللصَّيْنِ ، يحاولُ أن يعرفَ منهما أين أخفيا مصوغاتِ الحاجِّ صاحبِ ماكينةِ الرىِّ.

لكن اللصَّيْنِ أصرَّا على إنكار سرقتِها ، وأنهما لا يعرفانِ شيئًا عنها.

هنا استدعَى العمدةُ "حسين" ، وقالَ له: "إنهما يُنكِرانِ معرفَتَهما أىَّ شىءٍ عن مصوغاتِ الحاجِّ .. هل يُعقَلُ أن تكونَ كلُّ هذه الثروةِ قد ضاعَتْ نهائيًّا؟!"

قالَ حسين: "سمعتهما يقولانِ إنهما أخفياها فى مقبرةِ الشيخِ درويش ، لكنهما لم يذكرا مكانَها بالضبطِ."

صاحَ الحاجُّ سالم ، صاحبُ ماكينةِ الرىِّ ، والذهبِ المسروقِ :"نذهبُ ونفتِّشُ فى المقبرةِ."

* * *

ومع أضواءِ الفجرِ ، خرجَتِ القريةُ كلُّها خلفَ حسين ، مُتَّجِهةً إلى مقبرةِ

DVD4ARAB

الشيخِ درويش.

وأخذَ الرجالُ يفتِّشونَ كلَّ ركنٍ فيها ، لكنهم لم يعثروا على شيءٍ.

وعادوا يسألون "حسين" و "وجيه" عن حقيقةِ ما سمعا من اللصَّيْنِ.

ووقفَ حسين حائرًا ، ثم وقعَ بصرُهُ على سطحِ غرفـةِ المقبرةِ ، وطرأ له

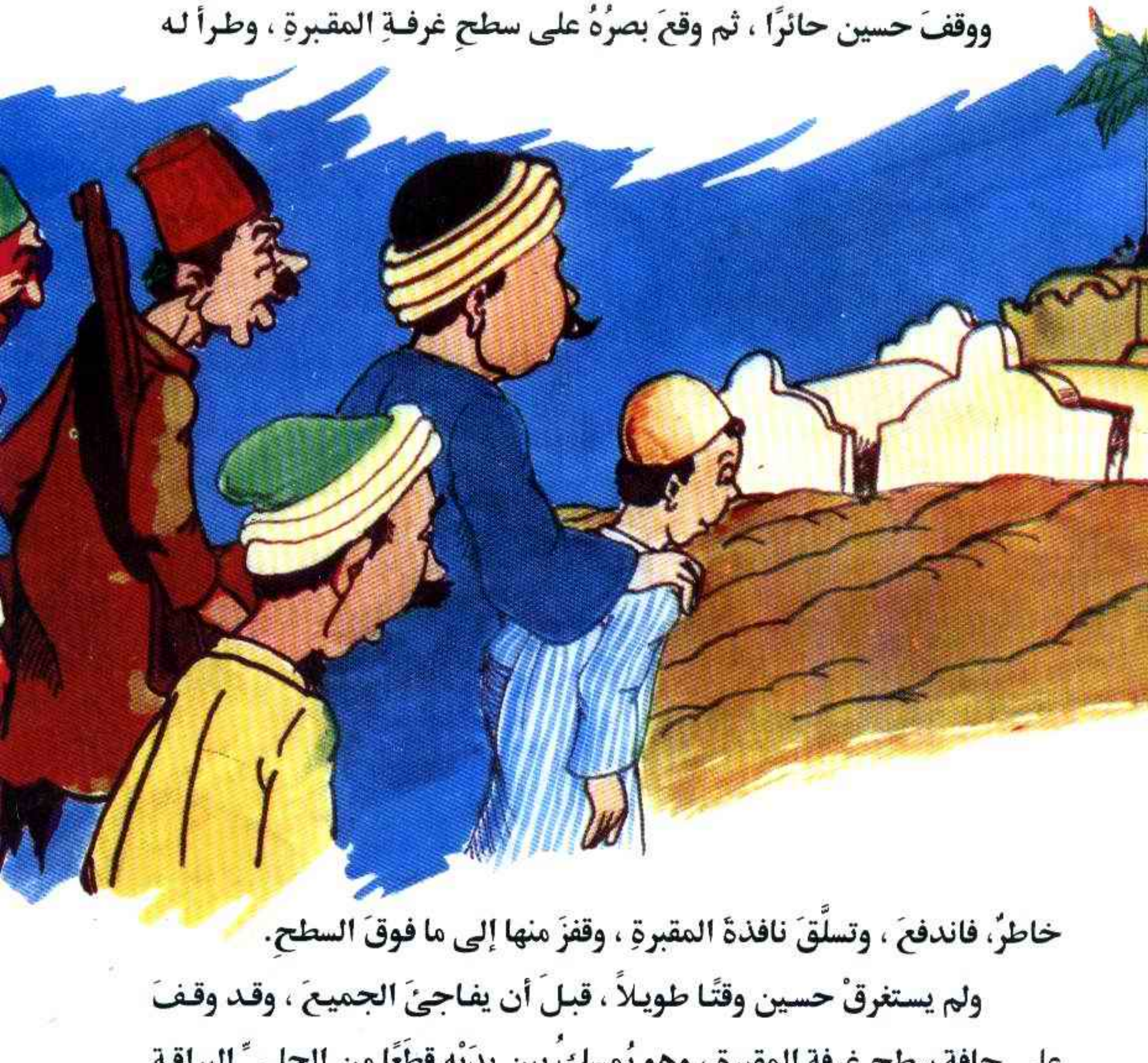

خاطرٌ، فاندفعَ ، وتسلَّقَ نافذةَ المقبرةِ ، وقفزَ منها إلى ما فوقَ السطحِ.

ولم يستغرقْ حسين وقتًا طويلاً ، قبلَ أن يفاجئَ الجميعَ ، وقد وقفَ على حافةِ سطحِ غرفةِ المقبرةِ ، وهو يُمسِكُ بين يدَيْهِ قِطَعًا من الحلِىِّ البراقةِ ويصيحُ: "وجدْتُها ..كلُّ الذهبِ هنا.."

DVD4ARAB

كانَتْ قِطَعٌ من الأحجار الثقيلةِ قد استقرَّتْ فوقَ أحدِ الأكياسِ الفارغةِ القديمةِ، المُلقاةِ على سطحِ المقبرةِ. وما إنْ أزاحَ حسين تلك الأحجارَ، حتى انكشفَ ما تحتَ الكيسِ، وظهرَتْ تحتَهُ الأساورُ الذهبيةُ، والخلخالُ الفضِّيُّ، والأقراطُ، والسلاسلُ الذهبيةُ، وما بها من جنيهاتٍ من ذهبٍ.

وعادَ حسين يصيحُ: "ذهبٌ .. أساورُ وسلاسلُ من ذهبٍ، وخلخالُ من فضةٍ!! أحمدُكَ يا ربِّ!!"

* * *

في تلك اللحظةِ وصلَ مروان، كاتبُ الجمعيةِ الزراعيةِ ووالدُ حسين، وعلاماتُ الفخرِ بابنِهِ تملأ وجهَهُ.

وما إنْ رأى "حسين"، حتى احتضنَهُ وهو يهتفُ: "مُبارَكٌ يا حسين.. جاءَ لك أخٌ، وجاءَ معه لكلِّ البلدِ، الأمانُ والاطمئنانُ."

صاحَ حسين: "وصحَّةُ والدتي؟"

أجابَ الأبُ، وهو يعاودُ احتضانَ ابنِهِ بفخرٍ:

DVD4ARAB

"الحمدُ للهِ .. صحتُها الآنَ تحسَّنَتْ .. لقد جاءَتْ لنا بولـدٍ ، إن شاءَ اللهُ يكونُ في مثلِ شجاعتِكَ ورجولتِكَ."

وتلفَّتَ حسين يبحثُ عن مسعود ، زميلِهِ كبيرِ السنِّ والجسم ، فلـم يـرَهُ ، فهمسَ لنفسِهِ:

"لم أكـنْ أعـرفُ أن اليـومَ الـذى أثبـتُ لهـم فيـه معنـى الشجاعةِ الحقيقيةِ، سيأتى بمثلِ هذه السرعةِ!"

* * *

أما مسعود ، فقد التفتَ إلى بقيةِ الزُّملاءِ وقالَ: "كلُّ هذا يفعلُهُ حسين ، الذى كنَّا نظنُّه جبانًا؟!"

هنا همسَ لـه زميـل آخـرُ:

"أنت تسرقُ الفاكهةَ من الحدائـقِ، وهويذهـبُ إلى الشيخِ فضل ليلاً رغـمَ العفـاريتِ، ويقبـضُ علـى لصـوصِ القريـةِ.. كـلُّ واحـدٍ لـه تخصُّصٌ!!"

وارتفعَتْ ضحكـاتُ الأولادِ ساخرةً من مسعود، فألقَى برتقالةً كانَتْ في يدِهِ، وأسرعَ يبتعدُ في ارتباكٍ..

DVD4ARAB

تحميل المزيد من القصص

قصة أهل الخير	قصة ذاتُ القلبِ الرَّحِيم	قصة ثلاث صديقات	قصة الرفق بالحيوان
قصة ماذا يُخبّئ عَمْرٌو	قصة اللهُمَّ استجِبْ	قصة ماذا أقول لأمّي	قصة مدرستي أجملُ
قصة المُذيع شادي	قصة نظّارة هيثم	قصة هدية الشتاء	قصة خروف العيد
قصة البطة الحزينة	قصة معجزة الرزق	قصة بياض الثلج وحمرة والورد	مجموعة قصص
قصة الذئب و الجديان السبعة	قصة ريحانة	قصة ما أجمل صلة الأرحام	قصة الأميرة وحبة الفول

قصة التيوس الثلاثة والمارد	قصة الحجر العجيب	قصة الفرخ الهارب	قصة الفرشاة الذهبية
	قصة أبو الحُصين	قصة البستان العجيب	قصة الغيلان الخمسة
قصة قصير الذيل	قصة السلطان المسحور	قصة الماسة الزرقاء	قصة الملكُ عادل
قصة ليلى الحمراء والذئب	قصة العجوز والعصفور بالعربية والإنجليزية	قصة جميلة والوحش	قصة طعام أمي
قصة ذات الرداء الأخضر بالعربية والإنجليزية	قصة السِّرُّ الكبير	قصة فلْنتقاسَمْها	مجموعة قصص للأطفال بعروض البوربوينت

لمشاهدة المزيد إضغط هنا